

الثقافة في التلفزيون بين الأصالة والمعاصرة

د. سامية أحمد أحمد على*

تحاول الباحثة فى هذه الدراسة تحديد مشكلة الأصالة والمعاصرة من خلال المضمون الثقافى الذى يقدمه التلفزيون ، باعتباره أكبر وسائل الاتصال انتشارا بين الجماهير ؛ ولأسيما أن تراث مصر قد اتسم على « امتداد تاريخها العريق الضارب فى أعماق القدم ، وحتى الآن بسمه فريدة هى التواصل بلا انقطاع ، والتفاعل الإيجابى مع حضارات العالم القديم والحديث ، على نحو مكن لها من أن تظل رافعة لواء الريادة فى العصر الحديث أخذا بالتجديد والتحديث فى محيطها العربى ، وانفتاحا على الحضارة العالمية»^(١) .

* أستاذ مساعد بقسم الإذاعة - كلية الإعلام - جامعة القاهرة .

(١) المجالس القومية المتخصصة : تقرير المجلس القومى للثقافة والفنون والآداب والإعلام - الدورة

الحادية عشرة ١٩٨٩ - ١٩٩٠ ، ص ٩ .

وهذه المكانة تفرض على وسائل الإعلام بالضرورة أن تستجيب لمقتضياتها ، من خلال الفهم الموضوعى لقضية الأصالة والمعاصرة .

وهذه القضية تقوم على أساس أن للتراث أهمية كبرى فى حياة الأمم ؛ إذ يحمل مقوماتها التى تثبت على مر الزمن ، فمنه حضارتها ، ومقوم أصالتها وشخصيتها المتميزة ؛ ومنه تستمد أصول تطورها وازدهارها الفكرى والمادى ؛ ويظهرنا مفهوم الأصالة على أن التراث المصرى والعربى والإسلامى يزخر بنفائث يجب الحفاظ عليها وتوثيقها والإفادة بما تحويه من قيم ومعارف ؛ والتعريف بها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ؛ ومن خلال التلفزيون بصفة خاصة .

فالتراث فى ضوء مفهوم الأصالة إذا ؛ يمثل الدرع الواقى للكيان الثقافى ، وحمايته من أخطار الغزو الفكرى ؛ ولا سيما أن المفهوم العلمى للأصالة ؛ والمعاصرة ، لا يعنى « العزلة » عن الثقافات العالمية وإنما يقتضى دعم القدرة الانتقائية لدى المشتغلين بالبرامج الثقافية فى التلفزيون بصفة خاصة ؛ وهى القدرة التى تتيح لهم التمييز بين مختلف الأفكار والأساليب الحضارية الوافدة ؛ والتى يزيد من انتشارها التقدم فى وسائل البث الفضائى ؛ والمباشر .

ويقتضى هذا المفهوم التأكيد على أن (التبادل الحضارى ظاهرة دائمة ، وأن تيار الحضارة لا يسير فى اتجاه واحد ، فلا يوجد مجتمع تقتصر مهمته على دور « المعطى » ومجتمع آخر تقتصر مهمته على دور « المتلقى »)^(١) .

من ذلك ؛ يصبح التعاون الحضارى - من خلال وسائل الإعلام بصفة خاصة - أمراً لا بد منه ؛ مع اعتماد هذه الوسائل بالضرورة على منابعنا الأصيلة؛ والإفادة من مقومات الأصالة فى الشخصية المصرية والعربية والإسلامية وفى ذلك ما يوضح المقصود

(١) المرجع السابق من ٩ .

بالمشكلة البحثية فى هذه الدراسة ؛ والتى تتوجه صوب «الأصالة والمعاصرة فى البرامج الثقافية التليفزيونية» ؛ تأسيسا على أن الإعلام الثقافى يتضمن المقصود وغير المقصود . والجمهور «المستقبل» لبرامج التليفزيون يتفاعل فى ثقافة لها نظمها وقواعدها ؛ وأنواع السلوك بين الناس يكمل بعضها بعضا .

الثقافة : المصطلح والمفهوم :

ويذهب العلماء والدارسون إلى أن من العسير أن نعتد على تعريف واحد لمصطلح الثقافة «Culture» ذلك أنه مصطلح بالغ التعقيد والأهمية ؛ ومن هذه التعريفات ما قدمه «كروبير A.L.kroeber» و«كلاكهون C.klukhohn»⁽¹⁾ من صيغة تأليفية تشتمل على معظم العناصر التى حظيت بموافقة علماء الاجتماع : «الثقافة تتألف من أنماط مستترة للجماعات الإنسانية وتتضمن ذلك الأشياء المصنوعة ؛ ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية ، وكافة القيم المتصلة بها أما الأنساق الثقافية فتعتبر نتاج السلوك من ناحية وتمثل الشروط الضرورية لها من ناحية أخرى » .

وفى تعريفه المختصر للثقافة يقول العالم البيولوجى «هاتشينسون» G.E.HUTEHINSON أنها «فئة أو مقولة عامة للسلوك تظهر عند جماعة معينة» .

وهكذا نجد أن الخلاف بين العلماء حول مفهوم لفظ «الثقافة» تابع من الاستعمالات المتباينة للفظ نفسه ، فهو يطلع أحيانا على آداب خاصة من آداب الحياة أو على سلوك يخص أفراد طبقات اجتماعية معينة أو يقصد به معرفة آداب خاصة فى المعاملة «الإتيكيت» ، وقد يطلق اللفظ على الشخص واسع الاطلاع الذى عنده إلمام بكثير من المعارف ؛ ولكن المقصود من الثقافة فى سياق هذه الدراسة ؛ هو المفهوم

(1) C. Kluckhohn & w. kelly , "the concept of culture" R.linton (ed), the science of man in world crisis N.Y. Columbia university press 1945, p. 79 .

الاصطلاحى الاجتماعى الذى يصل إلينا عن طريق الأجيال الماضية وتوارثه الأجيال .

ويذهب العالم البريطانى « تايلور »^(١) إلى أن الثقافة بالمعنى الأنثروجرافى الواسع هى ذلك الكل المعقد الذى يتضمن المعرفة ، والعقيدة والفن والأخلاق ، والقانون ، والعادة ، وكل المقومات الأخرى التى يكتسبها الإنسان كعضو فى المجتمع .

ومن هذا التعريف يتبين أن « تايلور » لا يقصر الثقافة على جوانبها المادية ، فهو يحدثنا عن قدرات يمارسها الإنسان باعتباره عضواً فى مجتمع ، ولذلك يتضمن تعريفه العناصر غير المادية فى الثقافة أيضاً ، تأسيساً على أن النواحي المادية وغير المادية فى الثقافة وحدة متفاعلة وتتضمنها الأنظمة الاجتماعية^(٢) .

وبعد سنوات من ظهور هذا التعريف ؛ صيغت تعريفات أخرى للثقافة كمفهوم رئيسى فى الأنثروبولوجيا ؛ وقد قام « كروير » و« كلاكهون » بتحليل ما يزيد عن (١٦٠) تعريفاً باللغة الإنجليزية ؛ قدمها علماء الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، وعلم النفس ، وغيرهم . وتمكننا من تصنيف هذه التعريفات وفقاً لتوجيهاتها الرئيسية ؛ فهنا تعريفات اهتمت بالحصص والوصف ؛ وأخرى تاريخية وثالثة معيارية ، ورابعة ذات طابع نفسى ، وخامسة بنائية ، ثم أخيراً تعريفات تطورية . ويعتبر تعريف « فرانز بواس » « Boas » تعريفاً وصفيًا نموذجياً ؛ إذ يذهب إلى أن الثقافة تتضمن كل مظاهر العادات الاجتماعية فى المجتمع المحلى واستجابات الأفراد نتيجة لعادات الجماعة التى يعيشون فيها ، ومنتجات النشاط الإنسانى ، أما التعريفات التاريخية فهى تنتقى جانباً معيناً من الثقافة مثل التراث الاجتماعى ، كما يذهب إلى ذلك « رالف لينتون » . وتنظر المجموعة الثالثة إلى الثقافة كطريقة متميزة فى الحياة على نحو ما يذهب إلى ذلك « كلينبرج »

(1) Researches into the early history and development of civilization, London tohn-murray 1865, p.p 4 - 369 .

(2) Taylor : primitive culture , London , 1871 , p. 1 .

« O.KLINBERG » حين يقول : أن الثقافة « هى ذلك الكل المتعلق بأسلوب الحياة ، كما تحدده البيئة الاجتماعية » . أما « سوروكين » فيقول : « أن المظهر الثقافى لعالم ما فوق العضوى يتكون من المعانى والقيم ، والمعايير ، والتفاعل ، والعلاقات بينها ، والأشكال المتكاملة وغير المتكاملة ، وهكذا . ويتجسد كل ذلك فى الأفعال الظاهرة فى العالم الواقعى الثقافى الاجتماعى » .

أما التعريفات البنائية ، فأهم ما يميزها اهتمامها بالطابع النوعى للثقافة والعلاقات المتبادلة بين جوانبها المختلفة . ولهذا فإن الثقافة - فى ضوء هذه التعريفات - هى تجريد ، أو نموذج تصورى ، يمكن الاستعانة به فى دراسة السلوك وتفسيره ، ولكنها ليست هى السلوك ذاته . وقد أكد « كلاكهون » أن الثقافة هى نسق تاريخى مستمد من الأساليب الظاهرة والكامنة للحياة التى يشارك فيها كل أعضاء الجماعة أو بعضهم .

على أن علماء الأنثروبولوجيا لا يقبلون تماماً فكرة الثقافة كتصور منطقى افتراضى أو كنموذج يركز على تجريد بعض أنماط السلوك ؛ وإن كان بعضهم مثل « رالف لينتون » و« بيدنى » و« هويت » يعتبرون الثقافة ممثلة للسلوك الواقعى ، يستخدمون فى نفس الوقت تعبيرات خاصة مثل الأساليب النمطية للسلوك وأشكال السلوك .

ومنذ عام ١٩٣٥ تقريباً اتجه علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية نحو استخدام مصطلح البناء الاجتماعى ، أكثر من استخدامهم لمصطلح الثقافة ، لكن ذلك لم يمنع من ظهور بعض التعريفات المشابهة لتلك التى قدمها العلماء الأمريكيون ، فقد كتب « فيرث R.Firth » يقول : « إذا نظرنا إلى المجتمع على أنه يمثل مجموعة من الأفراد ، فإن الثقافة طريقتهم فى الحياة ، وإذا اعتبرناه مجموعة العلاقات الاجتماعية فإن الثقافة هى محتوى هذه العلاقات . وإذا كان المجتمع يهتم بالعنصر الإنسانى ، وتجميع الأفراد والعلاقات المتبادلة بينهم ، فإن الثقافة تعنى بالمظاهر التراكمية المادية واللامادية التى يتوارثها الناس ، ويستخدمونها ، ويتناقلونها . وللثقافة محتوى فكرى ينظم الأفعال

الإنسانية ، وهى من وجهة النظر السلوكية سلوك متعلم ، أو مكتسب اجتماعيا ، وهى فوق كل ذلك ضرورة كحافذ للفعل^(١) .

ويذهب « ماير فورترس » ، M.FORTES ، إلى أن الثقافة هى المظهر الكيفى للوحدات الاجتماعية ، ويستخدم مفهوم البناء لدراسة الملامح المميزة للأحداث الاجتماعية التى تبدو من الناحية المثالية ، قابلة للتحليل والوصف الكمى .

ويذهب « كلارك ويسلر » ، C.LARK WISSLER ، إلى أن هناك حدا أدنى لعناصر الثقافة لابد وأن يوجد عند كل جماعة سواء أكانت جماعة بدائية أو متقدمة ، ويجمع هذه العناصر فى تسعة أجزاء يطلق عليها لفظ الأنماط الثقافية العامة UNIVERSAL CULTURE PATTERNS ، وهى :

١- اللغة أو الكلام .

٢- الخصائص المادية والمهارات المتعلقة بها .

٣- الفن .

٤- الأساطير ، والمعارف العلمية .

٥- الخبرات الدينية .

٦- الأسرة والنظام الاجتماعى .

٧- الملكية .

٨- الحكومة .

٩- الحرب .

(١) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ١١١ .

ويذهب بعض العلماء إلى أن «كلارك» قد عمد إلى التعميم بعض الشيء لأن بعض البدائيين لا يعرفون الحكم المنتظم أو الحرب النظامية ، ولذلك نكون أقرب إلى الدقة إذا ذكرنا أن مبادئ هذه العناصر هي النمط العام الذى يوجد عند كل جماعة ولا نفتقدها جماعة ما^(١) .

التليفزيون ومشكلة الثقافة :

إن وسائل الإعلام تؤثر على المجتمع ؛ كما تتأثر به فى نظامها الاتصالي ؛ ذلك أن «طبيعة المجتمع ذات تأثير كبير على وسائل الإعلام ، إذ اعتمد التطور الضخم أو الشامل لوسائل الإعلام كأدوات لنقل المعلومات والترفيه فى المجتمعات الغربية على تقدم تلك المجتمعات تكنولوجيا ؛ وعلى ثروتها الضخمة وعلى ازدياد وقت الفراغ الاجتماعى . هذا التقدم إلى جانب الثراء وازدياد أوقات الفراغ جعل حاجة الناس فى تلك المجتمعات تتزايد إلى المعرفة والترفيه مما حتم ظهور وسائل إعلام حديثة وزاد من أهمية تلك الوسائل . ولكن انتشار وسائل الإعلام بين مختلف الطبقات الشعبية فى القرن الماضى بسبب التطورات الاقتصادية التى أحدثتها الثورة الصناعية وانتشار المؤسسات الديمقراطية والتعليم الشعبية وظهور وسائل الإعلام الجماهيرية كان سبباً فى ظهور مشكلة اجتماعية جديدة عرفت فى القرن العشرين بظاهرة الثقافة الجماهيرية ، أى المضمون الثقافى الهابط الذى نشرته وسائل الإعلام الواسعة الانتشار فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والقرن العشرين^(٢) .

ويذهب علماء الإعلام إلى أن التكنولوجيا الحديثة قد أنتجت وسائل جديدة أيضاً مثل السينما والراديو والتليفزيون تتناسب بشكل خاص مع «الإنتاج والتوزيع

(1) Ogburn and nymkoff : hand book of sociollogy p.24 .

(٢) جيهان أحمد رشتى : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٥ ،

ال جماهيرى». وقد تطلبت اقتصاديات وسائل الإعلام الوصول إلى جماهير أكثر . لهذا كان من المحتم أن يتغير المضمون ليشبع احتياجات الفئة الجديدة التى بدأت أهميتها تزداد^(١) .

ويذهب الباحث «ماكدونالد» إلى أن هناك ثلاث ثقافات مختلفة فى المجتمع الجماهيرى مثل : الولايات المتحدة :

أولاً : الثقافة الراقية أو العليا .

ثانياً : الثقافة الجماهيرية .

ثالثاً : الفن الشعبى .

والثقافة الراقية أو العليا هى الثقافة التى امتدحها «دوتو كفيل » وهى تشير إلى العمل الدعوب الذى تقدمه الموهبة العظيمة ؛ والعبقرية وهو العمل الذى يحاول أن يصل إلى أقصى درجة من أجل الفن ... هذا العمل صنعته الصفوة الثقافية أو تم صنيعه تحت إشراف تلك الصفوة الثقافية . وأفراد تلك الصفوة هم القمة بين الرجال فى مجال التعليم ، والجماليات ، والترفيه ، وهم يحملون أسس قيم ومستويات ذلك المجال ، ويعتبرون نماذج للآخرين الذين يعملون فى ذلك المجال^(٢) .

أما الثقافة الجماهيرية فهى تشير إلى «السلع الثقافية التى تنتج فقط من أجل السوق الجماهيرى وهى سلع متماثلة ومتشابهة لأنها تميل إلى إرضاء أذواق جمهور غير متنوع . ووفقا «لتوكفيل» فإن هذه الثقافة الجماهيرية وإن كانت جذابة إلا أنها

(١) المرجع نفسه : ص ٣٨٦ .

(2) Harold L.wilensky : "Mass society and mass culture, in bernard berelson and morris janmiz (eds) reader in public opinion and communication , 2nd edition, N.Y., the free Press, 1966 p. 295 .

ليست أصيلة تماماً لأنها تهدف إلى الاستهلاك الجماهيرى وليس إلى تحقيق الكمال .
وتتميز الثقافة الجماهيرية بأنها تجعل الجمهور مهتماً بالرموز التى تتناول الأشياء العامة
والاهتمامات البعيدة (١) .

ويقصد بالفن الشعبى (FOLKLORE) ؛ وفقاً لعلماء الأنثروبولوجيا ؛ التراث
غير المكتوب الذى تعبر عنه القصص الشعبية ، والأغاني والحكم والأمثال الشعبية .
وترجع صياغة مصطلح « الفولكلور » إلى العالم الانجليزى «أمبروس ميرتون»
(MERTON AMBROSE) منذ أكثر من قرن مضى ، حين ذهب إلى أن : « ما
نعرفه هنا فى إنجلترا على أنه التراث الشعبى يمكن أن نعبر عنه بمصطلح ملائم هو
فولكلور (FOLKLOR) ومنذ ذلك الوقت شاع استخدام المصطلح فى اللغات الأوروبية .

ويذهب علماء الإعلام إلى أن الثقافة الجماهيرية (MASS CULTURE) قد
استمدت مضمونها من ثقافه الصفوة ؛ ومن الثقافة الشعبية معاً ؛ وكانت ثقافة الصفوة
قبل انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية فى القرن التاسع عشر، منفصلة تماماً عن الثقافة
الشعبية . ولكن الثقافة الجماهيرية التى استمدت مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة
الشعبية ، أصبحت مختلفة تماماً عن هاتين الثقافتين .

وتأسيساً على هذا الفهم ؛ يمكن القول أن الثقافة الجماهيرية ؛ أصبحت تشير
بوجه عام إلى الثقافة المميزة للمجتمع الجماهيرى الذى يصاحب المدنية الحضارية
والصناعية الحديثة ، ولكنها توجد أيضاً بدرجات متفاوتة فى المجتمعات التى لاتزال فى
طريقها إلى التصنيع ؛ ويتخذ وصف الثقافة الجماهيرية وتفسيرها صوراً متعددة ، ولكن
المهم أن « الجماهير تستهلك وتستمتع بثقافة تختلف اختلافاً جوهرياً عن الثقافة التى
كانت محل استمتاع (فى الحاضر والماضى) عناصر الصفوة فى البناء الاجتماعى .
والاختلاف هنا يمتد إلى المضمون والكيف معاً ؛ لأن عناصر الموضوع فى الثقافه

(١) جيهان أحمد رشتى : مرجع سابق ، ص ٣٩١ .

الجماهيرية تنتقل وتنتشر من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة ؛ كما أنها تتأثر فى نواحي هامة منها بالقدرة على «تسويقها» وكذلك بحجم «السوق» الذى يستهلكها^(١) .

والسؤال الذى تطرحه الثقافة الجماهيرية على هذا النحو ، هو : لماذا أصبحت من خلال وسائل الإعلام « مشكلة » ملحة ؛ يطالب العديد من المفكرين والمصلحين بتغييرها ؟ تقول د. جيهان رشتى : أن الكثيرين يرون أن المضمون الردىء أى المضمون الجماهيرى يتغلب على المضمون الجيد ويقضى عليه . فحين يتنافس الفن الجماهيرى يخرج منتصرا دائما . ويقال أن قانون «جریشام» له فى مجال الثقافة دور ممثال لدوره فى مجال التناول النقدى ؛ فالمضمون الردىء يطرد المضمون الجيد^(٢) .

التلفزيون والثقافة فى مصر :

مشكلة الثقافة الجماهيرية تصبح أكثر إلحاحا ؛ فى هذا العصر الذى تحول فيه العالم إلى « قلعة صغيرة » إذا استطاع التلفزيون أن ينقل « كبريات الأحداث أثناء وقوعها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وبذلك ألغى حدود الزمان والمكان ؛ وبجاذبية برامجه الملونة أصبح يشارك البيت والمدرسة والكتاب فى تنمية المدارك ونقل المعلومات وغرس القيم والتمكين للقيم والنماط السلوك حتى قيل بحق إن الجيل الجديد فى مصر وغيرها من دول الأرض - ينشئه ثلاثة آباء هم الأب والأم والتلفزيون وهو قول تؤيده الدراسات والإحصاءات والتجارب الحديثة فى دول متقدمة كأمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا والدنمارك ونيوزلاند والسويد وأسبانيا ... أثبتت كلها أن برامج التلفزيون تترك بصماتها على الشباب عامة وعلى الأطفال بوجه خاص فهؤلاء جميعا يستمدون منه الكثير من خبراتهم ومعلوماتهم عن الحياة ، والكثيرون منهم ، حتى المشاهدين من الكبار لا يسهل عليهم أن يميزوا بين الواقع الذى نعيشه والواقع المتخيل فى برامج

(١) سهير جاد : الإعلام الثقافى والبرامج التلفزيونية ، القاهرة ، هيئة الكتاب ، ص ١١٥ .

(٢) جيهان أحمد رشتى : مرجع سابق ، ص ٣٩٣ .

ومن هنا قيل بحق أن وسائل الإعلام وفى مقدمتها التليفزيون ، قد أصبحت جماهيرية ، وكان تأثيرها وبائيا ، ومن الخطأ أن يقال « إن الوباء لا يكون مضرًا إذا نجح من ضرره بعض الأفراد ، وإذا كنا نتفق على إيجابيات التليفزيون كما تتمثل فى تنمية المدارك ونقل المعلومات وغرس المفاهيم والقيم وأنماط السلوك فإننا أيضا يجب أن نعرض لسلبيات هذا الجهاز الجماهيرى ؛ ولا سيما فى الدول النامية ومن أهم هذه السلبيات أن المشاهد يقبل بال تكرار والإلحاح ما كان يرفضه من قبل ، فالتليفزيون يسهم فى تنمية العقل والوجدان عند مشاهديه صغارا وكبارا ، ولأن مشاهدته لا تكلف صاحبها جهدا ؛ صرف الكثير من مشاهديه عن القراءة ، ومن شواهد هذا أن فى إحصاءات اليونيسكو أن مصر فى عام ١٩٦٥ قد أصدرت مطابعها ٣٢٥٥ كتابا - وهو رقم يزيد على كل ما أصدرته الدول العربية من كتب فى عام ١٩٨١ ... ولكن نصيب مصر من الكتب الصادرة فى عام ١٩٨١ قد انخفض إلى ٥٠٠ كتاب» (٢) .

إن المتعلمين وأشباه المتعلمين فى مصر قد قنعوا بالحصول على شهادات «عليا» ووجدوا طريقهم إلى الكتابة والتأليف والنشر ، دون أن يعانون مشقة فى التماس الثقافة الحقيقية من أصولها المختلفة ، ومن هنا كانت أمية هؤلاء المثقفين.

ونشير هنا إلى مناظرة طريفة بين «روز نبرج» و« دافيد ماننج هويت » وهما محررا كتاب «الثقافة الجماهيرية» الذى يحتوى على العديد من المقالات حول الفنون الرائجة بين الشعب، وقد كتب المؤلفان فى مقدمة الكتاب مقالتين عن الثقافة فى أمريكا .

تتلخص اتجاهات «روز نبرج» عن أثر وسائل الإعلام فى نسيج الثقافة فى أن

(١) محمد كامل عبد الصمد : التليفزيون بين الهدم والبناء ، الإسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ٩١ .

(٢) توفيق الطويل : الجانب الثقافى فى برامج التليفزيون ، بحث نوقش فى شعبة الثقافة بالجلس القومى ، ١٩٨٥ .

وسائل الإعلام « تشكل تهديدا خطيرا على استقلال الإنسان ، وإذا عرفنا أنها قد تحتوى أيضا على بعض البذور الصغيرة من الحرية فإن ذلك لا يؤدي إلا إلى تحويل الموقف المتردى إلى موقف ميؤس منه تقريبا . فلا يوجد شكل فنى ، أو مجموعة معارف أو نظام أخلاقى له من القوة ما يكفى لمقاومة عملية التبسيط الجماهيرى . فالثقافة الجماهيرية كما يذهب إلى ذلك « روز نبرج » تنتج بطريقة تجعلها غير محتاجة إلى جهد وهو يقول : إن غمر السوق بأعمال « شكسبير » جنبا إلى جنب مع أعمال « ميكى اسيلين » يضع علما من أعلام الأدب العالمى على نفس المستوى مع من يتملق الجمهور بطريقة رخيصة ويوحى للقراء أن كلا العاملين يحتاج إلى نفس الإعداد .

إن التليفزيون - كغيره من وسائل الإعلام - حريص على أن « يحشد على شاشته برامج للرياضة والفن ونجومه ويسرف فى إذاعة برامج لكل طائفة منهما حتى لقد نرى فى وقت واحد على شاشة إحدى القناتين نوعا من الكرة وعلى القناة الأخرى مصارعة حرة ... أو نرى فى وقت واحد على إحدى القناتين فنانة تغنى ، وعلى الأخرى ندوة يشترك فيها المشتغلون بالمرشح ... ومثل هذا يحدث كثيرا^(١) .

وفى ذلك طرح لمشكلة الثقافة فى وسائل الإعلام ؛ يلخصه «دوايت ماكدونالد» حين يذهب إلى وجود ثلاث ثقافات مختلفة : ثقافة رفيعة ، وثقافة جماهيرية ، وثقافة شعبية ، ونخلص إلى أن «جاذبية الثقافة الجماهيرية والتي يطلق عليها الألمان كلمة «كيتش» KITSCH، على سبيل السخرية ، ومكاسبها قد أخذت تؤثر تدريجيا فى الثقافة الرفيعة والثقافة الشعبية » ويقول : «لو كانت هناك ثقافة للصفوة محددة تحديدا واضحا ، لأصبح من الممكن إذا ، أن تكون للجماهير ثقافتها « الكيتش » وللصفوة ثقافتها الرفيعة بحيث يصبح الجميع سعداء، ولكن الحد الفاصل قد طمس ... ذلك أن فريقا كبيرا من السكان، له دلالاته الإحصائية، فيما أستطيع أن أظن ، يواجه مواجهة مزمنة بالاختيار

(١) توفيق الطويل : مرجع سابق ص ٢٣ .

بين الذهاب إلى السينما أو إلى حفل موسيقى وبين قراءة « تولستوى » أو قراءة قصة بوليسية ، وبين مشاهدة لوحات الفنانين القدماء أو مشاهدة عرض تليفزيونى .
أى أن أسلوب حياتهم الثقافية مفتوح لدرجة أنه مسامى ... فالفن الجيد يتنافس مع « الكيتش » والأفكار الجادة تتنافس مع الأشكال التجارية والغنى كله فى جنب واحد .

فيبدو أن قانون « جريشام » يعمل فى التداول الثقافى كما يعمل فى تداول النقود ، فالمادة الرديئة تطرد المادة الجيدة ، مادامت أسهل فى الفهم والاستمتاع . وتلك السهولة فى التحصيل ، هى التى تجعل « الكيتش » يباع فوراً على نطاق واسع كما أنه هو الذى منعه ، أيضاً ، من بلوغ أى مستوى رفيع ^(١) .

هكذا يذهب « ماكدونالد » إلى أن الثقافة الجماهيرية ليست فقط رديئة فى حد ذاتها ولنفسها وإنما هى تجعل الثقافة كلها متجانسة وتخط من قيمتها كلها ويتفق معه فى ذلك « كليمنيت جرينبرج » ، الذى يعتقد أن « الكيتش » يقوم بهضم أولى للفن من أجل المشاهد ، ويعفيه من الجهد ، ويزوده بأقصر السبل إلى المتعة الفنية ، بحيث يدور حول ما هو صعب ، بالضرورة ، فى الفن الأصيل ^(٢) .

على أن د. الطويل يوضح المشكلة الثقافية فى وسائل الإعلام من طريق آخر حين يتناول نصيب الثقافة فيها ، ويناقش قول المسغولين عن التليفزيون « إن الثقافة هدف أساسى قرره مادة فى قانون إنشائى وأكثر برامجنا تشهد أننا نطبق المادة بأمانة » .

ويعلق على قولهم حين يعقب : « هم على حق إذا قصدنا الثقافة فى معناها الواسع الفضفاض الذى يدخل فيه مباريات الكرة على اختلافها والمصارعة الحرة وسائر فروع

(١) جريد الأهرام : الفلسفة النقدية ووسائل الإعلام ، عمود « شوار » ، جريدة الأهرام ، ١٦ / ٧ / ١٩٩٣ .

(٢) وليام ل. ريفرز وآخرون : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ، ترجمة د. إبراهيم إمام ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٢٩ .

الرياضة ، ونشرات الأخبار ودروس محو الأمية والمسلسلات والمسرحيات والإعلانات ... وغيرها مما يشير شكوى الجماهير ، وكنموذج للبرامج الثقافية يشير إلى برنامج المسابقات «حاول تفتكر» ، وفيه تقدم الدولة جوائز مالية لكل من يجيب على سؤال ، ومن هذه الأسئلة :

١- ما اسم أول مذبة ظهرت على شاشة التلفزيون عند بدء الإرسال التلفزيوني؟

٢- ما اسم أول مذيع ظهر على الشاشة ؟

٣- إليكم لقطات من مسلسل عرضه التلفزيون خلال الخمسة والعشرين عاما الماضية ، ما اسم هذا المسلسل ؟

٤- إليكم لقطة من مباراة كرة بين فريقين ، فما اسم الفريقين المشتركين في المباراة ؟

وهكذا ولمن يجيب على أى سؤال جائزة مالية [من الدولة] اعترافا بمبوغه وتقديرا لعبقريته !!

وتعرض الشاشة هذا فى بلد عريق له ماضى وحاضر ، كلاهما حافل بأعجاء قومية وعلمية وفنية ... وفى كل مجال منها يمكن توجيه سيل من الأسئلة التى تكشف عن مدى ثقافة المشتركين فى المسابقة ، ولكن يبدو أن الذين يعدون البرامج الثقافية ليس لديهم الملم كبير أو قليل بشئ من هذه الأعجاء ... ! وذلك إلى جانب أن البرامج الثقافية كثيرا ما تنطوى على أخطاء تاريخية أو علمية فتشيع بين المشاهدين .

ومن ذلك يتضح أن هناك جوانب من الفن -كبعض الرسوم واللوحات والموسيقى مثلا - منفصلة تماما عن وسائل الإعلام الحديثة ولكن الجزء الأكبر من الثقافة الجماهيرية تقدم عن طريق وسائل الإعلام . والواقع أن أشد المآخذ الموجهة إلى الثقافة المعاصرة من نقاد وسائل الإعلام ، تتركز على عالم الصحف ، والمجلات والراديو

والتلفزيون والكتب والأفلام . ويقول النقاد الأمريكيون : إنه لو لم تكن وسائل الإعلام بهذا القدر من الانتشار ، لما كانت الثقافة الجماهيرية بهذه الخطورة المحدقة ، ولو لم تكن عائدات وسائل الإعلام بهذا القدر من الإغراء ، لما وجدت الثقافة الجماهيرية أن السبيل ميسر أمامها لتخريب الثقافة الرفيعة والفن الشعبي (١) .

إن وسائل الإعلام تقوم بواجبها إذا أسهمت في «تكييف» البناء الثقافي والاقتصادى والحضارى لبناء الإنسان الحر ، وأن على هذه الوسائل والتلفزيون بخاصة ، أن تدخل الفرد والمجتمع فى اعتبارها ، بحيث تشبع عقله وروحه وتجعله يواكب تطورات المجتمع ، ويعمل على تنميتها قوميا وثقافيا ودينيا واقتصاديا وحضاريا بوجه عام ، مع الاهتمام البالغ بجانب التطبيق وعدم الاقتصاد على الجانب النظرى وحده .

البرامج الثقافية ومفهوم الأصالة والمعاصرة :

هناك شبه اتفاق على صعوبة تحديد ماهية البرامج الثقافية ؛ لأن أى برنامج لا يخلو من محتوى ثقافى ، كما أن وصف البرامج بأنها ثقافية أمر لا يتفق حوله كل تصنيف ، وما يعد برنامج ثقافيا فى أحد البلاد قد لا يكون كذلك فى بلد آخر ؛ بل إن بعض الأجهزة الإعلامية فى بعض الدول لا نجد فى خريطة برامجها برامج معينة توصف بوصف البرامج الثقافية (تلفيزيو الدنمارك ، والبرازيل ، وفرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا) (٢) .

ويذهب المفكرون إلى أن مشكلة الأصالة والمعاصرة من أحدث المشكلات التى أخذت تستحوذ على اهتمام المثقفين فى الآونة الأخيرة ، وترجع جذورها إلى المرحلة التالية لفترة النهضة الحديثة . وتتمثل جوهر المشكلة فى كيفية التعايش أو الامتزاج بين

(١) جريدة الأهرام : مرجع سابق .

(٢) سهير جاد : البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافى ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ٣٩ .

وحين تقوم البرامج الثقافية برسم سياستها الإعلامية ؛ يجب أن تسعى إلى تحقيق المعادلة الصعبة بين الأصالة والمعاصرة فى مضمونها الثقافى ؛ ذلك أن «الأصالة تتيح للأمة أن ترجع إلى شخصيتها وذاتيتها التى كونتها الأحداث والأجيال والمؤثرات الأصيلة فى حياتها من الدين واللغة والآمال والآلام والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية»^(٢) .

والأصالة تعنى «الشئ العريق والرأى المحكم والشئ الأصيل هو ذو الأصل الضارب فى الأعماق ، فالأمة ذات الأصالة هى ذات التاريخ والماضى الرائع ، وذات الجذور القوية العميقة المتصلة بذلك التاريخ وبذلك الماضى ، ليس بكل الماضى بما فيه غث وthin بل الارتباط الوثيق بما فيه من عناصر الحقيقة والصواب والخير والجمال والسمو والقوة ، والأصالة هى فن الانتقاء من الماضى ، والمعاصرة هى القدرة على الانتقاء من الحاضر» والأصالة الحقيقية تكمن فى المزج الذكى بين تراثنا وما يقدمه اليوم العقل الإنسانى من إبداعات ، والحاضر هو تراث الماضى مضافا إليه اجتهاد اليوم^(٣) .

مما تقدم يمكن القول أن البرامج الثقافية فى التلفزيون ؛ يجب أن تنبع من المفهوم العام لثقافة مصر ؛ والذى يذهب إلى أنها المكون الفكرى فى البناء الاجتماعى ؛ ويجمع الأفكار الأساسية للمكونات الأخرى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وهى لذلك تتضمن عناصر ثلاثة هى : التراث التاريخى والحضارى فى فتراته المتعاقبة ، والمؤثرات الداخلية المتفاعلة مع مكونات البناء الاجتماعى فى فترة ما ، والمؤثرات الناجمة عن

(١) حامد طاهر : خمس مشكلات حقيقية أمام الفلسفة الإسلامية فى العصر الحاضر فى : دراسات عربية وإسلامية ، الجزء التاسع ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٥٢ .

(٢) مجلة الثقافة : مايو ، ١٩٧٤ .

(٣) الأسبوع الثقافى : الرياضى ، عدد الجمعة ، ١٢ من ربيع الأول ، ١٣٩٤هـ .

الاتصال مع العالم الخارجى ومدى القبول أو الرفض للمفهوم العام والمفهوم الخاص للثقافات الأخرى .

ومن تفاعل هذه العناصر تسهم البرامج التلفزيونية فى بلورة الثقافة المصرية ؛ لتكتسب ذاتيتها من إسهام المفكرين و المبدعين .

وفى مواجهة المؤثرات الداخلية ؛ تحتاج البرامج الثقافية فى التلفزيون إلى مزيد من العناية والاهتمام والوعى بما يمكن أن تؤديه للمجتمع من خلال فهم عنصرى الأصالة والمعاصرة فى البناء الثقافى بالفكر والمضمون والأداء الفنى والإفادة من إمكانات التلفزيون فى إحياء الماضى وإثراء الحاضر وإعداد المستقبل .

إن البرامج الثقافية فى التلفزيون ؛ تستطيع أن تحقق هدفها الثقافى ؛ حين توجه عناية خاصة لتأصيل الثقافة فى مصر بمفهومها الخاص والعام وكذلك حين تتوسع فى مفهوم التراث كعنصر من عناصر الثقافة فى مصر وتقييمه من خلال الإمكانيات الفنية للتلفزيون ؛ ومتابعة التطورات الحديثة المستمرة المصاحبة لثورة المعلومات فى العصر الحديث ؛ والاهتمام بالبرامج العلمية فى تبسيط العلوم والتعريف بالجديد دائماً .

وتذكر الباحثة هنا أن المجلس القومى للثقافة والإعلام قد أوصى بالاهتمام الخاص بما تقدمه الإذاعة والتلفزيون من مواد ثقافية وإعلامية باعتبارهما مدرسة جماهيرية مجانية واسعة التأثير ، وزيادة مساحة هذه المواد فى برامجهما^(١) .

(١) تقرير المجلس القومى ، الدورة ١٢ - ١٩٩٠ / ١٩٩١ م .

ثانياً : نتائج الدراسة التحليلية

ومن هنا تقوم الباحثة بدراسة تحليلية تستهدف دراسة عنصرى الأصالة والمعاصرة فى البرامج الثقافية بالتليفزيون المصرى ، وفى ذلك ما يحدد مشكلة البحث وأهداف الدراسة الأمر الذى يتبلور فى فروض البحث التالية :

فروض الدراسة :

الفرض الأول : أن نسبة البرامج الثقافية أقل بكثير من المواد الأخرى التى تشملها خريطة التليفزيون .

الفرض الثانى : أن البرامج الثقافية فى التليفزيون بمفهومها الاصطلاحي تشمل الفنون والعلوم والأدب، وتطغى المادة الفنية على المادة الأدبية والعلمية، وأن القضايا التى تناقش فى البرامج التليفزيونية تركز على الموضوعات المعاصرة وفى قليل من الأحيان تمس جوانب الأصالة .

الفرض الثالث : أن البرامج الثقافية التليفزيونية تتكامل مع وسائل الثقافة والفنون الأخرى كالكتاب والمسرح والسينما .

الفرض الرابع : أن اللغة فى البرامج الثقافية تتعامل مع المستوى الفصحى فى معظم البرامج على اعتبار أن اللغة العربية الفصحى هى المقوم الثقافى الأول فى الثقافة العربية ، فضلاً عن أنها من أهم مقومات الأصالة فى الفكر العربى .

الفرض الخامس : أن البرامج التى تتناول التراث قليلة جداً فى برامج التليفزيون مما يشكل قصوراً فى دعم الأصالة الثقافية .

منهج الدراسة

ولدراسة هذه الافتراضات تستخدم الباحثة أسلوب تحليل المضمون الذى يهدف إلى تحليل المضمون الظاهرى للرسالة تحليلاً مودنوياً ومنظماً .

وترى أن أيسر سبيل لهذه الدراسة من حيث قياس عنصرى الأصالة والمعاصرة فى البرامج الثقافية هو دراسة مضمون هذه البرامج دراسة تحليلية فى إطار مفهوم الثقافة الذى تناولته الباحثة فى الجزء الأول من هذه الدراسة .

عينة الدراسة :

ولإجراء هذا البحث اختارت الباحثة الفترة من ١ / ١٤ / ١٩٩٣ حتى ٣٠ / ١٦ / ١٩٩٣ لدراسة البرامج الثقافية على القناتين الأولى والثانية :

نتائج الدراسة التحليلية :

١- نسبة البرامج الثقافية إلى المواد التليفزيونية :

وتتضح هذه النسبة من الجدول التالى رقم (١)

جدول رقم (١)

نسبة البرامج الثقافية إلى المواد التليفزيونية الأخرى خلال فترة الدراسة

الاتجاه العام	ق ٢		ق ١		نوعية المادة أو المضمون
	%	ق س	%	ق س	
٥٥	٧	١٠٦	٤	٦٩ ٣٠	البرامج الثقافية
٩٤٥	٩٣	١٤١٢ ٤٠	٩٦	١٤٩٥ ٢٠	باقى البرامج والمواد التليفزيونية الأخرى
١٠٠	١١٠	١٥١٨ ٤٠	١٠٠	١٥٦٤ ٥٠	الإجمالى خلال (٣) أشهر

من الجدول السابق رقم (١) يتضح لنا أن الفرض الأول صحيح فى جملته وتفصيله وهو الفرض القائل « أن نسبة البرامج الثقافية أقل من المواد الأخرى التى تشملها خريطة التليفزيون » .

فقد أثبتت الدراسة التحليلية كما يتضح من الجدول السابق أن الاتجاه العام للبرامج الثقافية فى القنواتين معا لا تزيد نسبته عن (٥٥٪) فى حين تحتل البرامج والمواد الترفيهية والإعلامية والسياسية وهكذا فى الاتجاه العام (٩٤٥٪) وهى نسبة قليلة جداً لا تتماشى مع الأهداف الثقافية لهذه الوسيلة الجماهيرية ، وإن كانت نسبتها تزيد فى القناة الثانية (٧٪) عن القناة الأولى (٤٪) فإذا وضعنا فى الاعتبار أن التلفزيون المصرى يتعامل مع جمهور عريض لدول نامية تزيد فيها نسبة الأمية ويقل فيها الاعتماد على الكتاب كوسيلة رئيسية من وسائل الثقافة لزادت خطورة هذه النسبة .

ومن الطريف أنه على الرغم من قلة هذه النسبة المخصصة للبرامج الثقافية من حيث الكم فإنها من حيث الكيف أيضا تحتوى على الغرائب . إذ يحسب على البرامج الثقافية الكثير من المواد الترفيهية ومن ذلك برامج «أوسكار» و«نادى السينما» وفيها يستدعى خبير لإلقاء الأضواء على هذه البرامج ، ويدور التعليق فى الأفلام مثلا حول سيرة المخرج ومعد البرنامج والممثلين وفى التعليق على أفلامنا المصرية كثيرا ما تنتقل المذبةعة إلى حيث يكون المشاركون فيها وتساءل الممثل أو المخرج عن عمره الفنى وعدد الأفلام التى شارك فيها وعما يراه منها ملائما لمواهبه وشعوره نحوها ... وهكذا لا نملك إلا أن نتفق مع الدكتور توفيق الطويل رحمه الله فى قوله معقبا على مثل هذه الصورة :

«يا لها من ثقافة يزود بها التلفزيون مشاهديه» ولا نذكر أن مثل هذا قد حدث مع عالم أو مفكر أو أديب !! . إن مثل هذه البرامج توحى للنشئ خاصة بأن الجديرين حقا بالإعجاب هم وحدهم كواكب الفن ونجوم الرياضة .

ولكى لا نظلم المسؤولين عن التلفزيون ننقل عن البيان الرسمى^(١) الصادر عنه والمقدم إلى مجلس الشعب فى الرد على طلب الإحاطة الخاص بأن السهرات التى

(١) اتحاد الإذاعة والتلفزيون : الإدارة العامة لمركز المعلومات ، التقرير الإحصائى السنوى ١٩٩٢ /

يقدمها التلفزيون هي سهرات ترفيهية وليست ثقافية .

يقرر هذا البيان أن التلفزيون قدم فى العام الماضى (٦٦٥٧) ساعة من البرامج الثقافية المختلفة من خلال قنواته الرئيسية والإقليمية ، تمثل نسبة مئوية مقدارها (٣٣,٣٧٪) من إجمالى الإرسال ، أى أن البرامج الثقافية قد اختصت بثلاث الإرسال التلفزيونى كله .

وهذه النسبة لا تتفق مع واقع التحليل الذى قامت به الباحثة لأن النسبة الرسمية قد أدخلت ضمن البرامج الثقافية العديد من مواد المتوعات والترفيه ومن ذلك كما تقدم «نادى السينما» وهو برنامج أسبوعى تبلغ مدته ساعتين وتتضمن مدة عرض الفيلم بالإضافة على حوار من النوع الذى أشرنا إليه ، وكذلك برنامج «رفع الستار» وهو برنامج أسبوعى مدته (٣٠) دقيقة ، وبرنامج «سينما لا تكذب ولا تتجمل» ما بين (٣٠ - ٤٥) دقيقة ، وبرنامج «زوم» (٤٥) دقيقة وهكذا بالإضافة إلى الأفلام العربية التى احتلت فى العام الماضى من وقت القناة الأولى (٩٨,٥١ ساعة) ، ومن وقت القناة الثانية (٦٦,٣٤ ساعة) بالإضافة إلى التمثيليات العربية التى احتلت ساعات عديدة تحسب على البرامج الثقافية .

٢- موضوعات البرامج الثقافية :

من الجدول التالى رقم (٢) تتضح لنا نسب الموضوعات فى البرامج الثقافية من حيث المضمون الأدبى والفنى والعلمى والعام :

جدول رقم (٢)
موضوعات البرامج الثقافية فى الدورة الثانية ١٩٩٣/٤/١ - ١٩٩٣/٦/٣٠
فى القنوات الأولى والثانية

الموضوعات	ق ١		ق ٢		الاتجاه العام
	ق	%	ق	%	
ثقافة أدبية	٦	٩	٩	٨	٨٥
ثقافة فنية	٥١٠	٧٣	٤٥	٤٣	٥٨
ثقافة علمية	—	—	٣٤	٣٢	١٦
معارف عامة	٣٠ ١٢	١٨	١٨	١٧	١٧٥
الإجمالي	٣٠ ٦٩	١٠٠	١٠٦	١٠٠	١٠٠

من الجدول السابق رقم (٢) يتضح لنا صحة الفرض الثانى الذى يقول «إن البرامج الثقافية فى التلفزيون بمفهومها الاصطلاح تشمل الفنون والعلوم والآداب ، وتطغى المادة الفنية على المادة الأدبية والعلمية» .

ولقد تبين من الجدول أن الاتجاه العام للثقافة الأدبية فى القنوات (٨٠٥٪) بواقع (٩٪) للقناة الأولى و(٨٪) للقناة الثانية . وأن نسبة الثقافة العلمية فى الاتجاه العام (١٦٪) إذ اقتصر تقديم الثقافة العلمية على القناة الثانية فقط فى حين أن الثقافة الفنية احتلت نصيب الأسد على القناة الأولى بنسبة (٧٣٪) والثانية بنسبة (٤٣٪) فيكون الاتجاه العام (٥٨٪) . وهى النسبة التى تؤكد طغيان المواد الفنية على المواد الأدبية والعلمية فى البرامج الثقافية فى التلفزيون، وكذلك على المعارف العامة التى جاءت نسبتها فى الاتجاه العام (١٧٥٪) .

وهذه النسب حين تؤكد صحة الفرض الثانى فإنما تؤكد اختلال التوازن بين عناصر الموضوع فى الثقافة لصالح المواد الفنية وانتقاصا من حجم المواد الأدبية والعلمية بصفة خاصة ، وهى المواد التى تحتاج إلى ترويج جماهيرى أكثر لتحقيق العمق الكيفى فى الثقافة المعاصرة . أما المواد الفنية فهى ألصق بالترفيه لأنها كما تقدم عند مناقشة الفرض الأول ليست فى حاجة زمنية إلى أن تمتد فى خريطة التليفزيون لتشمل مساحة مكانية فى البرامج الثقافية .

وحين نشير إلى المسلسلات التليفزيونية وبرامج الترفيه الخالص والمبالغة فى عرض المشاهد الخاصة لحياة الفنانات والفنانين ، وما حلا للبعض من إنتاج أفلام ومسرحيات عن تاريخ الرقصات كأن حياتنا ليس فيها ما يستحق أن يشغلها غير هذا . وظهرت إحداهن على الشاشة الصغيرة لتبرر كثرة ما تمثله من أفلام الرقصات فتقول «إن مهمتى هى إحياء تراثنا الماضى وتقديمه إلى الأجيال الجديدة التى لا تعرف عنه شيئا !! وقال أكبر مخرج لهذه الروائع : إن الذى يدفعه إلى ذلك أنه تربى منذ صغره فى حى العوالم كأن بيوتنا مسئولة عن نشأته وتربيته !! » . وفى غمرة هذا بدا لكثيرين من المشاهدين أن الفنانين والفنانات هم وحدهم نجوم المجتمع وقدوته !! ويليههم فى مراتب القدوة نجوم الكرة خاصة والرياضة البدنية بوجه عام . إن الترفيه مطلوب ولكن بعيدا عن الإسفاف والابتذال .

٣- تكامل البرامج الثقافية التليفزيونية مع وسائل الثقافة الأخرى :

يوضح الجدول التالى رقم (٣) مدى تحقيق التكامل بين البرامج الثقافية التليفزيونية ووسائل الثقافة والفنون الأخرى كالكتاب والسينما والمسرح والفنون التشكيلية ... وهكذا وهو ما يؤكد صحة الفرض الثالث على النحو الذى يتضح مما يلى :

جدول رقم (٣)

تكمال البرامج الثقافية التليفزيونية مع وسائل الثقافة الأخرى خلال فترة الثقافة

الاتجاه العام	ق ٢		ق ١		وسائل الثقافة
	%	ق س	%	ق س	
٥٣	--	--	١٠٥	٦	الكتاب
٦٤,٥	٥٥	٣٣	٧٤	٤٢	السينما
--	--	--	--	--	الموسيقى
١٢,٧	١٥	٩	١٠٥	٦	المسرح
--	--	--	--	--	البالية
١٠	١٥	٩	٥	٣	الفنون التشكيلية
٧,٥	١٥	٩	--	--	المتاحف
١٠٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	٥٧	الإجمالي

* ومن الجدول السابق رقم (٣) يتضح أن البرامج الثقافية التليفزيونية تتوجه شطر السينما في المحل الأول للتكمال معها ، حيث بلغت النسبة في الاتجاه العام (٦٤,٥٪) وفي القناة الأولى (٧٤٪) وفي القناة الثانية (٥٥٪) وربما يرجع ذلك إلى التقارب الشديد بين السينما والتلفزيون كوسيلتين مرئيتين . ولكن هذا يجعل البرامج الثقافية تقع في محذور «الترفيه» كما تبين عند مناقشة الفرضين السابقين .

* جاء المسرح في المرتبة الثانية من حيث التكمال مع البرامج الثقافية التليفزيونية بنسبة (١٢,٧٪) في الاتجاه العام ، تليه الفنون التشكيلية بنسبة (١٠٪) والمتاحف بنسبة (٧,٥٪) ثم الكتاب في المرتبة الأخيرة بنسبة (٥,٣٪) في الاتجاه العام. ويلاحظ هنا أن القناة الثانية لاتتعامل مع الكتاب أساسا في حين جاءت النسبة الخاصة للكتاب ضمن خريطة القناة الأولى فقط بنسبة (١٠,٥٪) وهي التي يحتلها برنامج «كتاب في حياتي» .

وفى هذه النسب ما يشير إلى القصور فى النظرة التكاملية لوسائل الثقافة والفنون ، وهو الأمر الذى يقتضى إعادة النظر فى توزيع هذه النسب ليحتل الكتاب مكانه الأول باعتباره عمدة الثقافة ، وكذلك التركيز من حيث الكيف على برامج الفنون التشكيلية التى لاحظت الباحثة عدم وضوح شخصية كل برنامج ، الأمر الذى يقتضى أن يتميز كل برنامج بتقديم مادة تشكيلية يتميز بها ، وهو ما يتضح فى برنامج «جولة الفنون» و«آتيليه» .

٤- اللغة فى البرامج الثقافية :

ويوضح الجدول التالى رقم (٤) مستويات التعبير اللغوى فى البرامج الثقافية خلال فترة الدراسة .

جدول رقم (٤)

الاتجاه العام	ق ٢		ق ١		لغة البرنامج
	%	ق س	%	ق س	
١٠	٨	٩	١٢	٨	الفصحى
٤٤	٣٩	٤١	٤٩	٣٤	عامية المتنورين
١٥	—	—	٣	٢	العامية
٤٤,٥	٥٣	٥٦	٣٦	٢٥	لغة أجنبية
١٠٠	١٠٠	١٠٦	١٠٠	٦٩	الإجمالى

من الجدول السابق رقم (٤) يتضح عدم صحة الفرض الرابع القائل : «إن اللغة فى البرامج الثقافية تتعامل مع المستوى الفصحى فى معظم البرامج ؛ على اعتبار أن اللغة العربية الفصحى هى المقوم الثقافى الأول فى الثقافة العربية فضلا عن أنها من أهم مقومات الأصالة فى الفكر العربى » .

حيث جاءت نسبة الفصحى فى مستويات التعبير اللغوى خلال فترة الدراسة (١٠٪) فى الاتجاه العام ، فى حين جاءت عامية المتورين فى الاتجاه العام بنسبة (٤٤٪) أما العامية فقد جاءت فى الاتجاه العام بنسبة (١٥٪) واحتلت اللغة الأجنبية النسبة الأكبر (٤٤,٥٪) فى الاتجاه العام ومرجع ذلك إلى كثرة الأفلام التى تذاغ باللغات الأجنبية والإنجليزية بصفة خاصة .

٥- الأصالة والمعاصرة فى البرامج الثقافية :

أثبتت الدراسة التحليلية صحة الفرض الخامس - أى الفرض الرئيسى فى هذه الدراسة - والقائل : « إن البرامج التى تتناول التراث قليلة جدا فى برامج التليفزيون ، مما يشكل قصورا فى دعم الأصالة الثقافية . وإن القضايا التى تناقش فى البرامج التليفزيونية تركز على الموضوعات المعاصرة وفى قليل من الأحيان تمس جوانب الأصالة » .

ويوضح الجدول التالى رقم (٥) نسب الأصالة والمعاصرة فى مضمون البرامج الثقافية .

جدول رقم (٥)

الأصالة والمعاصرة فى البرامج الثقافية

الاتجاه العام	ق ٢		ق ١		المقومات الثقافية
	%	ق س	%	ق س	
١٣,٥	١١	١١ ٣٠ ر	١٦	١١ ٣٠ ر	الأصالة
٨٦,٥	٨٩	٩٤ ٣٠ ر	٨٤	٥٨	المعاصرة
١٠٠	١٠٠	١٠٥ ٦٠ ر	١٠٠	٦٩ ٣٠ ر	الإجمالى

من الجدول السابق رقم (٥) يتضح أن الأصالة فى الاتجاه العام قد احتلت (١٣,٥٪) من مضمون البرامج الثقافية على القناتين . وقد تميزت هذه النسبة فى القناة الأولى حيث ارتفعت إلى (١٦٪) وانخفضت فى القناة الثانية إلى نسبة (١١٪) ويرجع ذلك إلى تركيز القناة الثانية على تقديم مواد أجنبية أكثر من القناة الأولى . أما المعاصرة فقد جاءت نسبتها فى الاتجاه العام مرتفعة (٨٦,٥٪) موزعة بين القناتين الأولى (٨٤٪) ، والثانية (٨٩٪) .

وبوضع الجدول التالى رقم (٦) المعاصرة من حيث المصدر .

جدول رقم (٦)

المعاصرة من حيث المصدر

الاتجاه العام	ق ٢		ق ١		المصدر
	%	ق س	%	ق س	
٤١,٥	٣١	٢٩	٥٢	٣٠	مصرى
٢,٥	٢	٢٣٠	٣	٢	عربى
٥٦	٦٧	٦٣	٤٥	٢٦	أجنبى
١٠٠	١٠٠	٩٤٣٠	١٠٠	٥٨	الإجمالى

* من الجدول السابق رقم (٦) يتضح أن المصدر الأجنبى قد احتل المرتبة الأولى فى الاتجاه العام بنسبة (٥٦٪) وفى القناة الثانية احتل المرتبة الأولى أيضا بنسبة أكبر : (٦٧٪) ، أما فى القناة الأولى فقد احتل المرتبة الثانية بنسبة (٤٥٪) إذ سبقه المصدر المصرى إلى المرتبة الأولى فى نفس القناة بنسبة (٥٢٪) وهذه نتيجة طبيعية تتفق وشخصية كل من القناتين .

وجاء المصدر المصرى فى القناة الثانية بنسبة (٣١٪) ولكنه من حيث الاتجاه العام احتل المرتبة الثانية بنسبة (٤١.٥٪) ، أم المصدر العربى فقد جاء فى الاتجاه العام فى القناتين فى المرتبة الثالثة بنسبة (٢.٥٪) .

ومن هذه النسب يتضح أن غلبة المصدر الأجنبى فى المعاصرة تعود إلى كثرة ما يقدم من أفلام أمريكية فى معظم الأحيان ، ولذلك يلاحظ بعض النقاد أنه من غير المنطقى أن تستولى السينما الأمريكية بمفردها على مادة برنامجى «أوسكار» و«نادى السينما» ... خصوصا وأن كلمة «ثقافة سينمائية» التى يضطلع بتقديمها البرنامجان تعنى التعريف بمختلف مدارس واتجاهات السينما فى العالم كله خصوصا سينما العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية التى تطرح من القضايا ما يهم شعوب هذا العالم. كما لوحظ فى البرامج الثقافية تجاهل أجيال أدبية بأكملها فى واقعنا الثقافى الراهن ، فهى تتجاهل مثلا غالبية شعراء السبعينيات فى مصر وشعراء الثمانينات ومن المفروض أن يعرض البرنامج لمختلف الاتجاهات والتيارات والألوان والمدارس الشعرية والفنية بمنتهى الحيدة والموضوعية .

وفى برنامج «آتيليه» لوحظ خلال شهر كامل تركيز البرنامج على القناتين على الأجانب فى حلقاته .. ومع أننا لسنا ضد التعريف بالفنانيين الأجانب إلا أن لدينا تراثا فنيا عريقا قديما ومعاصرا ويجب أن تتوازن الحلقات فى عرض الفنانيين الأجانب والمصريين والعرب .

كذلك لاحظت الباحثة تجاهل البرامج المسرحية تناول المشاكل الملحة للمسرح المصرى « مسرح الدولة » والتى لابد من مناقشتها بكل اهتمام ... فيكاد المسرح الآن يلفظ أنفاسه مفسحا المجال تماما للمسرح الجارى المتدنئ .

أما البرامج العلمية وهى تدعم جوانب المعاصرة فيما تقدم من جديد للعلم

والتكنولوجيا ؛ فقد لوحظ أن برنامج عالم الحيوان يعتمد فقط على الأفلام والمادة الأجنبية وبذلك لا يلتفت - إطلاقا - إلى « عالم الحيوان » فى مصر ... وبإمكان البرنامج أن يلتفت - ولو قليلا - إلى إنتاج حلقات عن عالم الحيوان فى مصر ، وهو عالم ثرى ومتنوع برا وبحرا وجوا ، لكنه فى حاجة فقط إلى من يلتفت إليه .. ومثل هذه الحلقات ستدخل تغيراً مهما على هذا البرنامج «المستورد» ... وستعرف المواطنين بيئتهم الطبيعية وما تحتويه من مخلوقات فى البر والبحر والجو .

كما أن برنامج «عالم البحار» لازال يعتمد فقط على الأفلام الأجنبية المستوردة والحديث عن بحار فى كل أنحاء الدنيا ... إلا بحارا المصرية على طول ما تملكه من شواطئ بطول وعرض البلاد ولكننا نلاحظ هذا الكسل الدائم لدى الأجهزة المعنية والإنتاجية فى التلفزيون .. وتكون النتيجة أن مواطنينا المشاهدين يعرفون عن كل بحار العالم ... إلا بحارنا هنا ... وعن كل حيوانات وطيور العالم إلا حيواناتنا البيئية وطيورنا المحلية ... وهكذا .

ويتضح من الجدول رقم (٧) مصادر الأصالة فى البرامج الثقافية

جدول رقم (٧)

مصادر الأصالة فى البرامج التلفزيونية

الاتجاه العام	ق ٢		ق ١		الأصالة
	%	ق س	%	ق س	
٩١	١٠٠	٣٠ ر ١١	٨٢	٣٠ ر ٩	التراث الإسلامى
٩	—	—	١٨	٢	التراث المصرى
١٠٠	١٠٠	٣٠ ر ١١	١٠٠	٣٠ ر ١١	الإجمالى

ومن الجدول السابق رقم (٧) يتبين أن التراث الإسلامى قد احتل المرتبة الأولى فى مصادر الأصالة حيث بلغت نسبته فى الاتجاه العام (٩١٪) وأن التراث المصرى قد احتل المرتبة الثانية فى الاتجاه العام بنسبة (٩٪) . ويلاحظ أن البرامج التى ركزت على دعم مقومات الأصالة تكاد تنحصر فى «أمسية ثقافية» و«صورة ومعلومة» و«من الماضى والحاضر» و«نبع الحضارة» .

ففى برنامج «أمسية ثقافية» ومدته (٤٥ دقيقة) عرض للحياة الثقافية فى مصر والعالم العربى ومحاوره مع بعض المتخصصين حول موضوع أدبى تراثى أو معاصر . وفى برنامج «صورة ومعلومة» (١٠ دقائق) أسبوعيا إلقاء للضوء على موضوعات أدبية وفنية وعلمية وآثار للحضارات العربية القديمة والحديثة فى إطار تسجيلى . أما برنامج «من الماضى والحاضر» (٣٠ دقيقة) فيتناول إلقاء الضوء على المتاحف القديمة . ويلقى برنامج «نبع الحضارة» (١٥ دقيقة) أسبوعيا الضوء على المناطق الأثرية والتاريخية فى مصر .

من ذلك يتضح أن مفهوم الأصالة يكاد يكون غير واضح فى هذه البرامج ماعدا «أمسية ثقافية» . وهو الأمر الذى يقتضى وضع سياسة برامجية تحقق التكامل الوظيفى بين الأصالة والمعاصرة وفقا لاجتهادات المفكرين على النحو الذى يجعل من البرامج الثقافية فى التلفزيون نافذة حقيقية من نوافذ البناء الثقافى للإنسان المصرى والعربى ولاسيما أن برامج التلفزيون المصرى اليوم أصبحت تتخطى الحدود الجغرافية المصرية ليشاركها المتلقى العربى فى أكثر من مكان . وتوصى الباحثة بأن تضع سياسة البرامج الثقافية فى التلفزيون نصب عينها تحقيق التجديد والابتكار فى تصور وعرض وتقديم البرامج المعنية بالفكر والأدب والعلم، ودعم مقومات الأصالة فى المضمون الثقافى إذ لاحظت الباحثة كما لاحظ غيرها من النقاد أن هناك برامج لها سنوات طويلة تقدم بنفس الشكل والطريقة والأسلوب بما يفقد البرنامج الحيوية والجدة والقدرة على جذب المشاهد .

المصادر والمراجع

أولاً : المراجع العربية والمترجمة :

١- توفيق الطويل : الجانب الثقافي فى برامج التلفزيون ، بحث نوقش فى
شعبة الثقافية بالمجلس القومى ١٩٨٥ .

٢- جيهان أحمد رشتى : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة دار الفكر
العربى ١٩٨٥ م .

٣- سهير جاد : الإعلام الثقافى والبرامج التلفزيونية ، القاهرة هيئة
الكتاب ١٩٨٧ م .

٤- محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، هيئة الكتاب ،
١٩٧٩ م .

٥- محمد كامل عبد الصمد: التلفزيون بين الهدم والبناء ، الإسكندرية ، دار الدعوة
للطبوع والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

٦- وليم ريفرز وآخرين : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ، ترجمة إبراهيم إمام ،
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

ثانياً الدوريات والصحف والتقارير :

١- الأسبوع الثقافى : الرياض ، عدد الجمعة ، ١٢ من ربيع الأول ، ١٣٩٤ هـ .

٢- الأهرام ، عمود شوار ، الفلسفة النقدية ووسائل الإعلام ، ١٦ / ٧ / ١٩٩٣ م .

٣- تقرير المجلس القومى : الدورة ١٢ ، ١٩٩٠ / ١٩٩١ م .

٤- مجلة دراسات عربية وإسلامية ، الجزء التاسع ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، خمس
مشكلات حقيقة أمام الفلسفة الإسلامية فى العصر الحاضر .

- 1) **Cherif Khazendar** : "Radio et Culture de Mass" Dans, Jean Jardi-
en "Grandeurs et faiblesses de la Radio, Paris,
Unesco, 1969.
- 2) **George M. Foster** : Traditional Culture and the impact of techno-
logical change. New York. Harper and
Row, 1965
- 3) **Harold L. Wilensky** : "Mass Society and Mass Culture" in Ber-
nard Berelson and Morris Janowitz, EDs. Reader
in Public Opinion and communication 2nd Edi-
tion (N. Y, The Free Press, 1966).
- 4) **Kluckhohn and W. Kelly** : "The Concept of culture" R. Linton
(ED), The science of Man in world Crisis (N. Y.
Columbia university Press), 1945.
- 5) **Ogburn & Nymkoff** : A hand book of sociology.
- 6) **Taylor** : Primitive culture, London, 1971.